

تفسير أبي السعود

هود الآية 47 منهم كما قيل فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لإنجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريريه إلى الفلك بتلاظم الأمواج أو بتقريرها إليه وقيل أو بإنجائه في قلة الجبل ويا باه تذكير الوعد في الدعاء فإنه مخصوص بإنجاء في الفلك وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر إله إلا من رحمه ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله تعالى إياه برحمته وقد وعد بإنجاء أهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام أن يدعوه إلى الفلك أو يدعو ربه لإنجائه واعتزاله عنه وإن قصده الالتجاء إلى الجبل ليس بنص في الإصرار على الكفر لظهور جواز أن يكون ذلك لجهله بانحراف النجاة في الفلك وزعمه أن الجبل أيضا يجري مجرأه أو لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله سأوي إلى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح وإنما يطمعه عليه السلام في إيمانه حيث لم يقل أكون معهم أو سأوي أو يعصمنا فإن إفراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما أمره به نوح إلا أنه لو تأمل في شأنه حق التأمل وتفحص عن أحواله في كل ما يأتي ويدر لما اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل .

إنني أعظم أن تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الأولى بذلك وقرره فلا تسألن بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بباء وبغير ياء .

قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك أي أطلب منك من بعد .

ما ليس لي به علم أي مطلوبا لا أعلم أن حصوله مقتضى الحكم أو طلبا لا أعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد أو مشتبه الحال أولاً أعلم أنه صواب أو غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وإنما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك أن أسألك لما فيه من الدلاله على كون ذلك أمرا هائلا محذورا لا محيم منه إلا بالعود بالله تعالى وأن قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك .
وإلا تغفر لي ما صدر عنِّي من السؤال المذكور .
وترحمني بقبول توبيتي .

أكن من الخاسرين أ عملا بسبب ذلك فإن الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل

هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء والإشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادرى خلاص من قيل في شأنه إنه عمل غير صالح والتضرع إلى الله تعالى في أمره معاملة غير راجحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الأمر الوارد على الأرض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الأمر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج إذ حينئذ يتصور الدعاء بالإنجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما